

إنتلاف حركة أحباب البيان والحرية: النشاط والمآل (1943-1945م)



د. نفيسة دويده.
أستاذة محاضرة بالمدرسة العليا للأستاذة
بوزريعة - الجزائر.

• الملخص باللغة العربية:

عرفت الحركة الوطنية الجزائرية خلال الحرب العالمية الثانية نشاطاً جماعياً محسوساً، واندفاعاً مدروساً احتضنته عدة مناطق من الجزائر، ومثل بداية نحو توحيد المطالب السياسية الموجهة للسلطة الفرنسية أو لغيرها، ونعني بالتحديد القوى العالمية الموجهة للحرب؛ مما أبرز وفسر السعي الجزائري لاستغلال ظروف الحرب بهدف تدويل القضية الجزائرية.

ونقف من خلال رصد الحراك الاجتماعي والسياسي بالشرق الجزائري خصوصاً صورة مصغرة ومميزة عكست ذلك الانسجام البراغماتي الآني أو الحقيقي الذي اعتبر تجربة رائدة وناجحة، واستحضاراً لذكرى المؤتمر الإسلامي سنة 1936م، تلخص الإجماع الوطني فيه بين جمعية العلماء المسلمين، وحزب الشعب، وجماعة فرحات عباس من بقايا الاتحاد الشعبي، وبعض المنتخبين، ومجموعة من الأحرار، وغاب عنه الشيوعيون، وقد التفت المطالب حول وثيقة البيان الجزائري الصادر في فيفري 1943م، والذي شكّل أرضية العمل الوحدوي باسم حركة جديدة هي موضوع هذه الدراسة: «أحباب البيان والحرية» (AML).

• الملخص باللغة الأجنبية:

During the second world war, the algerian national movement was aware of a significant collective activity and a deliberate impulse, which was embraced by several regions of Algeria. It marked the beginning of the unification of the political demands directed at the french authority or others, namely the global forces directed at the war.

The national consensus is divided between the association of muslim scholars, the People's party and the Farhat Abbas group, the remnants of the popular union, some elected parties, and a group of liberals, but the communists ignored it. The demands were turned on the algerian statement issued in february 1943, and they founded a new movement named «friends of statement and freedom».

4- الجزائر من الانتعاش السياسي إلى القمع الدموي.

إن دراسة وضع الحركة الوطنية الجزائرية في النصف الثاني من عقد الثلاثينات، وحتى بداية الأربعينات من القرن الماضي؛ لاشك يحيلنا إلى إبراز بعض الأحداث التي مرت بها، والتركيز أيضاً على نشاط بعض الأفراد وهذا من غير مفاضلة أو تحيز، ولا بد أن المقصود بذلك هو الأثر العميق لتجربة المؤتمر الإسلامي بطبعته (سني 1936 و1937م) على صعيد الأطراف السياسية المختلفة داخل نسيج الحركة الوطنية، وفي الوقت نفسه على مستوى الطبقات الشعبية. ومثلت التجربة الائتلافية الأولى؛ رغم عدم تحقق مطالبها عملياً على أرض الواقع؛ أول ظهور وحدوي علني وشامل للعمل السياسي الجزائري، وأيقظت وعياً عميقاً بضرورة تنسيق الجهود، وتحقيق الوحدة الوطنية، وأبرزت أهمية ذلك في مآل القضية الجزائرية مستقبلاً.

وفي ظل سعي السلطات الاستعمارية إلى نبذ العمل الموحد لدى الجزائريين حتى ولو كان ظرفياً؛ فإنها قامت بسلسلة من الإجراءات العقابية والوقائية لإعادة الوضع السياسي إلى سابق عهده مقسماً ومفتتاً بين القوى والقيادات، خاصة مع بداية ظهور ملامح التأزم العالمي المنبئ بوقوع الانفجار الكبير¹.

إن أهمية دراسة نشاط الحركة الوطنية خلال الفترة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية تكمن في كونها فترة حافلة بالأحداث والتحويلات السياسية، وهذا على مستوى النخب الوطنية، وكذا على مستوى التعاطي الاستعماري مع الواقع المرير الذي أفرزته الحرب، كما أن هذه المرحلة انتهت نهاية دموية غير متوقعة، أوقعت قيادات الحركة الوطنية في مأزق بعد الانتعاش والتفاؤل الذي سبقها.

وعليه فإن إشكالية هذه الدراسة تتمحور أساساً في تتبع مسار الحركة الوطنية خلال الحرب العالمية، والتركيز على تجربة أحباب البيان والحرية، ومحاولة رصد تلك التحويلات العميقة التي حركتها التجربة، وتفاعلت فيها الطبقة السياسية مندمجة مع الفئات الشعبية؛ مما يعطينا تفسيراً موضوعياً واضحاً لضخامة وفضاعة القمع الاستعماري في ماي 1945م، هذا الأخير الذي استهدف بتر ذلك التواصل، ووآد الشعور بالأمل لدى الجزائريين مهما كانت مشاربهم وتوجهاتهم.

وقد سطرنا لذلك الخطة البحثية التالية:

1- السياق العام للنشاط السياسي بالجزائر في بداية الحرب (1939-1942م).

2- بيان فيفري 1943م وأثره.

3- من البيان إلى أحباب البيان والحرية (1944-1945م).

أفريل 1940م، بينما بقي فرحات عباس يراوح مكانه محاولاً التمسك بالمبادرة.

ويمكن القول أن محور النشاط السياسي القائم في هذه الفترة (بين سنتي 1940 و 1942م) قاده فرحات عباس انطلاقاً من مدينة سطيف التي احتضنت وأطرت ذلك الحراك السياسي الملفت، وذلك بدءاً بتوجيهه رسالة للحاكم العام الفرنسي الأميرال «أبريال» (Abrial) بتاريخ 16 ديسمبر 1940م، وقد تضمنت التأكيد على أن «عهد البطولات قد ولى»⁵، ثم بعث للماريشال «بيتان» (Pétain) بمذكرته الشهيرة المعنونة بـ «جزائر الغد»، وعبر من خلالها عن مشاعر كل الجزائريين بخصوص ما يحدث على الساحة السياسية، واحتوت أيضاً تنديداً شديداً للهجة بالنظام الاستعماري⁶. كما أرسل عباس في 05 مارس 1942م بمذكرة أخرى لوزارة الداخلية الفرنسية؛ طالب فيها بإطلاق سراح المعتقلين، وندد بصلاحيات رؤساء البلديات.. الخ. ورغم ذلك بقيت تلك الرسائل والمذكرات من غير رد ولا صدى⁷، واتضح أن فرنسا لا تهتم بمناقشة مصير أزيد من سبعة ملايين من الجزائريين المسلمين، وهذا ما دفع بالنواب الجزائريين ومنهم فرحات عباس للاستقالة من اللجنة المالية في أوت 1942م، وبإصدار هذا الأخير أيضاً بوقف نشاطه في فيدرالية المنتخبين⁸.

2 - بيان فيفري 1943م وأثره:

ساهم جهود السياسة الفرنسية إزاء المحاولات الفردية لطرح مطالب سياسية (كمبادرات فرحات عباس وغيره)، بالإضافة لتدهور الحالتين الاجتماعية والاقتصادية، وتأثير الدعاية المضادة التي كثفتها دول المحور في شمال إفريقيا؛ ساهم في بعث اليأس والإحباط في نفوس الجزائريين خاصة لدى أولئك المتمسكين بالأمال تجاهها. وبالمقابل

وهكذا أسس الدكتور محمد الصالح بن جلول حزبه الجديد «التجمع الفرنسي الإسلامي» (RFMA) في 31 جويلية 1938م «للدفاع عن حقوق الإنسان والمواطن»، وأنشأ فرحات عباس أيضاً حزب «الاتحاد الشعبي الجزائري» (UPA) في نفس الفترة تقريباً، وتضمن مطالب إصلاحية كالمساواة في الحريات الأساسية وضمان العدالة الاجتماعية، وأن تتمتع الجزائر بحقوق أكبر على غرار باقي المقاطعات الفرنسية... الخ²، في حين دعا «حزب الشعب الجزائري» (PPA) إلى تأسيس «جبهة إسلامية جزائرية»، واقترح «الحزب الشيوعي الجزائري» (PCA) سنة 1939م إنشاء «الجبهة الفرنكو جزائرية»³.

ومع بداية ظهور أولى بوادر الحرب العالمية الثانية سارعت الإدارة الاستعمارية لاتخاذ كافة الاستعدادات، فأرسلت الاستدعاءات لتجنيد الجزائريين، وفتحت باب التطوع، وحلت الأحزاب السياسية، وصادرت الصحف، وأمرت الإداريين والقياد بالمحافظة على الهدوء والأمن، ووعد «دلايديه» من جهته بالعودة إلى تطبيق مشروع فيوليت «العتيق»⁴.

1 - السياق العام للنشاط السياسي بالجزائر في بداية الحرب (1939-1942م):

لقد باتت التنظيمات السياسية للحركة الوطنية مع اندلاع الحرب منقسمة على نفسها، وساد لفترة معينة فراغ سياسي كان نتيجة لحصار الإدارة عليها - كما سبق - حيث واجه حزب الشعب والحزب الشيوعي الجزائري على السواء توقيف النشاط الرسمي لهما، وعانيا من صعوبات داخلية بعد سجن بعض المناضلين، وعلى رأسهم مصالي الحاج، وعانت جمعية العلماء بدورها بعد وفاة رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس في 16

الآن فصاعداً على صعيد السياسة العالمية؛ مقابل تدهور الإمبراطوريات الاستعمارية المتهالكة، ولاشك في هذا استشراف حكيم للمستقبل القريب¹².

وبعد تعيين الوالي العام الفرنسي الجديد «مارسيل بيروتون» (M.Peyrouton) في 17 جانفي 1943م أبدى مرونة ملحوظة مقارنة بسلفه الجنرال «جيرو» (Giraud)، وهدف من وراء طلبه إعداد مشروع إسلامي للإصلاح إلى وضع حد للاتصالات الجزائرية - الأمريكية، وكانت المشاورات قد بدأت فعلاً بين بعض القادة الوطنيين، ومنهم فرحات عباس والدكتور دباغين، وأحمد فرانسيس، وحسين عسلة، والهادي مصطفى، وأحمد معيزة آخرين لإعداد وثيقة مشتركة سماها بن يوسف بن خدة «ما قبل البيان»¹³، جاءت في وقت «ترفع الشعوب الأخرى رأسها طالبة الاهتمام بمصيرها ومستقبلها»، و«كان يستحيل أن تبقى الجزائر مكتوفة اليدين»¹⁴، ثم إن الظرف كان مناسباً حينها؛ لأن الفترة بين سنتي 1942 و1943م ميزها بالجزائر تجاذب عدة قوى للسلطة: الحلفاء، أتباع الماريشال بيتان وحكومة فيشي، تنظيم الجنرال ديغول، المعمرون، أما القوى السياسية الجزائرية فكانت محاولة تغييرها عن المشاركة جلية للأنظار رغم الوعود والمماطلة، ولأن الجنرال ديغول تمكن بصعوبة من إزاحة خصومه، وحصر النفوذ الأمريكي بطريقة ملفتة¹⁵ فإن متابعة التطورات تقودنا لمعرفة خصوصية الخصم الجديد الذي ستواجهه الحركة الوطنية فترة طويلة، ونقصد طبعاً الجنرال ديغول¹⁶.

وفي ظل تلك الظروف اجتمع في بداية سنة 1943م عدد من الشخصيات الوطنية¹⁷، وتناقشوا بشأن الخطوط العريضة للمشروع،

اعتقدت الأوساط الأوروبية في الجزائر أن إدارتها تسلك المسار الصحيح؛ لاسيما بعد تضيقها الخناق على المسلمين، وفرضها احتياطات الأمن، وكذا سماحها بالحفاظ على مختلف الامتيازات المكتسبة للمعمرين⁹.

ومن جهة أخرى يكون فرحات عباس ورفاقه قد أدرك عدم جدوى العمل المنفرد والمزعول في ظل التعتت الاستعماري، فسارع مرة أخرى كمتحدث باسم الحركة الوطنية للتعبير عن مشروع جديد مقترح للشراكة الجزائرية الفرنسية، ووقع على رأس قائمة من 12 شخصية جزائرية¹⁰ رسالة مشتركة أرسلت يوم 20 ديسمبر 1942م للسلطات «المسؤولة» من الحلفاء، وتضمنت خاصة ضرورة تطوير قانون سياسي واقتصادي واجتماعي جديد قائم على العدالة الاجتماعية، ويؤمن التحرر السياسي، أي باختصار تضمنت المطالبة بإقرار «دستور قائم على العدل الاجتماعي»، وقد بقيت كسابقاتها بدون رد¹¹.

وفي الوقت نفسه (22 ديسمبر) تم إرسال رسالة مماثلة تقريباً للرسالة السابقة؛ لكنها كانت موجهة للسلطات الفرنسية، ووضحت بالأخص محتوى التحرر المطلوب الذي سيتم أساساً في إطار فرنسي، وتواصلت في هذه الأثناء اتصالات فرحات عباس على رأس النخبة الوطنية بالقنصل الأمريكي «روبير دانيال ميرفي» (R.D.Murphy)، وتحادث معه لمعرفة توجهات الموقف الأميركي من تطورات القضية الجزائرية، وبحث إمكانية تطبيق ميثاق الأطلسي بالجزائر، ويبدو أن عباس قد أثار اهتمام ميرفي؛ فوصفه أنه بدا له وطنياً، وأنه ذكر مرات عدة فكرة استقلال الجزائر، ونفسر محاولة عباس كسب دعم الحلفاء «المنتصرين» بأنها بمثابة إدراك مسبق من قبله للدور الريادي للأمريكان من

حركة تجمع مؤيدي البيان. وقد فكر عباس في البداية في تسميتها رمزياً باسم «الجزائر الحرة»؛ لكنه تراجع فيما بعد خوفاً من أن يؤثر الاسم، ويعكس شحنة سياسية قوية تعوق عمله أمام السلطات؛ فقرر عنواناً معبراً عن المضمون، وهو «جمعية أحباب البيان»، ثم «حركة أحباب والحرة»¹⁹ AML.

وتم تأسيس هذه الحركة في 14 مارس 1944م، واتخذت مقرها بـ 06 شارع لافيغري بمدينة سطيف (مهد روح البيان)، وسجل طلب اعتمادها رسمياً بعمالة قسنطينة، وتكونت الحركة أساساً من النواب والنخبة، وحزب الشعب (المحل)، والطلبة، والكشافة، وجمعية العلماء، وهناك من رأى أن الحركة الجديدة ليست سوى «رد فعل تلقائي من الوطنيين الجزائريين على أمرية 07 مارس 1944م»²⁰؛ بل إنها جاءت «بناءً على نجاح محاولة سابقة»، ورغم ذلك فقد وافقت السلطات الفرنسية على منح الحركة الاعتماد الرسمي؛ ما يعكس إدراكها ووعيتها لتقدم حزب الشعب المحظور، وبالتالي تأملت بسماحتها للحركة الجديدة أن تحول الوطنية الثورية الخفية إلى فيدرالية تظل ضمن الإطار الفرنسي²¹.

وتحددت أهداف الحركة في الدفاع عن البيان كمهمة عاجلة، نشر الأفكار الجديدة للحركة، استنكار الاستبداد، والتنديد بالعنصرية العرقية. أما وسائل نشاطها فمنها إسعاف كل ضحايا القمع والاضطهاد والقوانين الاستثنائية، إقناع الجماهير الشعبية بشرعية عملها، وخلق مؤيدين لها، والترويج لفكرة إنشاء دولة جزائرية مستقلة ومرتبطة فيدرالياً مع جمهورية فرنسية متجددة ومناوئة للاستعمار، وبث روح التضامن بين الجزائريين اليهود والمسيحيين والمسلمين،

والتقوا ثانية في 07 فيفري لاستكمال التفاصيل، ثم أوكلوا لفرحات عباس مهمة التحرير النهائي للنص، والذي تم إصداره يوم 10 فيفري 1943م في شكل بيان باسم الشعب الجزائري بكامله، ووصف هذا البيان على حد قول أصحابه انه «أكثر من عريضة دفاع، لأنه في الواقع شهادة للتاريخ، وكان بمثابة عقد إيمان»¹⁸.

لقد قضى البيان وملحقه المعدل في 26 ماي من نفس السنة على الفراغ السياسي الذي دام منذ بداية الحرب، وجدد الأمل والثقة في النفوس، وعبر عن روح الإجماع لمواجهة المستقبل، كما أنه عكس تألفاً بين القوى: الراديكالية الثورية لحزب الشعب، الإصلاحية الدينية للعلماء، الوسطية والاعتدال للنخبة والمنتخبين من جهة، وبين الفئات الشعبية من جهة أخرى.

ولسنا في هذا الموضع بصدد تفصيل ما جاء في البيان وملحقه؛ لأن ما يخصنا به هو التحول الذي طرأ بعد طرحه كأرضية مطلبية مختلفة مقترحة للخروج بالقضية الجزائرية بأقل الأضرار، وفي الوقت نفسه إعطاء فرنسا فرصة ذهبية للتخلص من كل تبعات سياساتها العقيمة في الجزائر؛ مادام البيان يشكل إجماعاً من حيث المبدأ، ويعكس توافقاً في الرؤى السياسية المسلمة (إذا ما استثنينا القوى الشيوعية) فإنه جدير بالدراسة والاهتمام.

3 - من البيان إلى أحباب البيان والحرية (1944 - 1945م):

إن الروح النضالية والحماس الذي أعقب إصدار وثيقة البيان، والتحالف بين القوى الوطنية؛ كل ذلك وفر التفافاً جماهيرياً مهماً كان لابد من تأطيره وتنظيمه، وهكذا تقرر إنشاء جبهة أو

الشرقية لمصالي (المتواجد بالمنفى)؛ تمت المصادقة - بتوجيه من عناصر حزب الشعب - على برقية احتجاج ضد إبقاء هذا الأخير محتجزاً، وحررت مذكرة لرفض مطلب الجمهورية الجزائرية المستقلة ذاتياً والمرتبطة مع فرنسا، وطالبت بالمقابل بجمعية تأسيسية جزائرية تتشكل بواسطة الاقتراع العام من طرف كل السكان المسلمين²⁷، وكانت قرارات المؤتمر سبباً في إفلات الوضع من يد المعتدلين داخل حركة أحباب البيان، وأسهمت في قلق السلطات الاستعمارية التي كانت تتحين الفرص لاستعراض مكانة فرنسا المحررة من جديد.

4 - الجزائر من الانتعاش السياسي إلى القمع الدموي (ماي 1945م):

إن السؤال الذي يتبادر للأذهان عند استحضار ذكرى فترة نهاية الحرب الكبرى الثانية؛ هو لماذا عرفت مناطق بعينها قمعاً رهيباً، وكانت قبلاً تعرف الهدوء والاستقرار؟، ولاشك أن هذا بالضبط ما يحيلنا إلى محاولة معرفة التجربة «الثورية» الوطنية و«القمعية» الاستعمارية في آن واحد سنة 1945م.

إن مدينة سطيف مثلاً (مركز العمل السياسي حينها) بحكم وقوعها في مفترق الطرق بين الجزائر العاصمة وقسنطينة من جهة، وعلى مشارف منطقة القبائل الكبرى ومنطقة الحضنة؛ فإنها عايشة انتفاضة سنة 1871م، وما تلاها من قمع ونتائج وخيمة باعتبارها معبراً هاماً، ونشطت بها النهضة في بدايات القرن العشرين نظراً لقربها من المراكز الثقافية والإصلاحية بالعاصمة وقسنطينة على الخصوص، ثم إن فرع كتلة المنتخبين في عمالة قسنطينة كان الأكثر تميزاً وتطوراً، ولذلك عرفت هذه الضواحي حركية واضحة على صعيد النشاط الصحفي والجمعوي والتعليمي وحتى السياسي²⁸.

وإرساء الشعور بالمساواة، والرغبة في التعايش بينهم²²، ودعت الحركة بكل وضوح إلى ضرورة «أن تفضح الحركة تصرفات ومناورات القوى الرجعية والإقطاعية الإسلامية والفرنسية، وكل من له مصلحة في بقاء النظام الكولونيالي» [المادة الرابعة من القانون الأساسي]، وان عليها «إعلان الحرب على مزايا الطبقات الحاكمة، والدعوة إلى الحق في العيش الكريم، وفي الحياة الوطنية للشعب الجزائري»²³.

وقد عين فرحات عباس كاتباً عاماً للحركة، وفي الوقت نفسه مسئولاً عن جريدة «المساواة» (Egalité) لسان حالها، وفتح باب الانخراط في العضوية أمام كل الفئات الشعبية من كل الانتماءات السياسية (عدا الشيوعيون الذين أسسوا بالمقابل «أصحاب الديمقراطية والحرية» (ADL) في سبتمبر 1944م)²⁴، فأصبح لأحباب البيان حوالي 165 فرعاً على المستوى الوطني، وتزايد المنضمون إليها، وقيل أنهم وصلوا نصف مليون شخص (500 ألف)؛ خاصة أن مسألة الازدواجية في الانتماء إلى الحزب الأصلي وللحركة كانت مسموحة، وبلغ سحب جريدة المساواة ما بين 300 إلى 500 ألف نسخة يومياً²⁵، وأدى العدد المتضخم لأعضاء الحركة إلى استحالة مراقبة سلوك المنخرطين، وصعب بالتالي على القيادة التحكم في زمام الأمور²⁶.

ومع ظهور مؤشرات نهاية الحرب زادت الدعاية الثورية لحزب الشعب في أوساط الحركة؛ مما حرك الحماس الشعبي بقرب تقرير المصير حتى أصبح من الصعب احتواء ذلك الاندفاع، ولما انعقد المؤتمر الأول للحركة بين 02 و 04 مارس 1945م برئاسة الدكتور سعدان نائباً لفرحات عباس الذي غاب بسبب المرض، وتحت الرئاسة

العام لولاية الجزائر « ف. راي » (Fr.Rey) قائلاً: «لقد تركنا الجرح ينضج لنقضي عليه بصورة جيدة»، وطالب والي الجزائر «بيريلي» (Périllier) بحل أحباب البيان ابتداءً من 10 مارس³²، في حين صرح الجنرال الفرنسي «هنري مارتان» (H.Martin) في أفريل 1945م قائلاً: «...من مصادر مختلفة من الثابت أن حزب الشعب بصدد تنظيم التمرد العام.. فقد ازداد الطلب على استمارات الانخراط في حزب البيان، كما أصبح الشباب المسلم المتحكم فيه بمهارة أداة خطيرة في أيدي القادة في التجمعات السكنية والأرياف، ويبدو أنهم عازمون على شن كفاح دون هوادة: «طرد الفرنسيين القذرين»...»³³، وأوصت مصالح الحكومة العامة منذ أفريل باتخاذ تدابير لحفظ النظام، و«يجب إيقاف الحركة بتدابير مناسبة، وإفهام الجماهير بأننا لن نسمح بذلك»، وحسب «معلومات مستقاة من مصادر مختلفة كل الأمور تنبئ بوقوع حركة بمناسبة نهاية العداوات، وأنها ستكون نوعاً ما شاملة»³⁴.

إن المشهد العام بنقاط التوتر لا يعكس بوضوح الطرف المسؤول عن تفاقم الوضع وانفجاره حسب التقديرات الفرنسية؛ لاسيما أن مصالح الاستخبارات رصدت تاريخ نشوب العصيان أو التمرد بيوم الهدنة، وأكد بهذا الصدد مبعوث من مدينة الجزائر أن «الموعد سيكون في مدينة سطيف»، وحسب روايات بعض أعضاء حزب الشعب (داخل حركة أحباب البيان) فإن مصالي قد صرح «أن الوقت حان لاستئصال الوحش الامبريالي»³⁵، وأنه يكون أعطى موافقته منذ أفريل 1945م على إعلان حكومة جزائرية من مزرعة تعود ملكيتها لعائلة المناضل أحمد معيزة، وتقع بالقرب من مدينة سطيف، والهدف من هذا القرار هو إرغام القوى المتحالفة على التدخل³⁶.

واقترن ذكر مدينة سطيف وضواحيها بمسقط رأس العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ الورتيلاني وغيرهما، وبنشاط فرحات عباس سواء كصيدلي أو كناشط سياسي وممثل لمختلف المجالس المحلية بالمدينة²⁹، ومثلت من جهة أخرى قطباً اقتصادياً وسياسياً في الشرق الجزائري، وعرفت تواجد مجموعات أوروبية معتبرة، وكانت أعداد المنضمين لحركة أحباب البيان بها كبيراً؛ لأنها احتضنت المقر الرئيسي لها، ونشطت الدعاية المضادة بها³⁰.

إن العوامل السابقة الذكر تعكس الأهمية الإستراتيجية والامتداد الحيوي لمنطقة الشرق الجزائري، وتمنحها خصوصية من حيث تفاعل الطبقة السياسية بالمجتمع الشعبي دون حواجز وظيفية مفتعلة، وهي بذلك تفسر مستوى رد الفعل الفرنسي تجاه أية محاولات للخروج عن الإطار العام المرسوم، ومنها على الخصوص ما وقع في ماي 1945م.

وبمراجعة حيثيات تطور حركة أحباب البيان التي أصبحت «التعبير الشرعي عن الوطنية الثورية»؛ يتضح أن الحكومة الفرنسية باتت تترقب فرصة التدخل لمنع أي تجاوزات مرتقبة، لكنها هي من سعى لإشعال الفتيل أمام شعلة الثورة، وتدل الإحترازاات الأمنية المتخذة منذ بداية سنة 1945م على ذلك، فقد نبّه والي عمالة قسنطينة في فيفري إلى تعفن الوضع قائلاً: «لقد اجتمعت كل الظروف المواتية لاشتعال أحداث دامية»، وأطلق في 31 مارس إنذاراً آخرًا لتوخي الحذر: «إنه من المناسب السهر على ألا يفرق أي حادث دموي نهائياً بين الفرنسيين والمسلمين؛ في وقت لا يشكل فيه المحرضون أكثرية»³¹.

وعلى العكس من ذلك صرح السكرتير

● قائمة الهوامش والإحالات:

- نذكر من تلك الإجراءات المتخذة عقب فشل تطبيق مشروع فيوليت مثلاً؛ تنظيم رئيس الوزراء الفرنسي اليميني "ادوارد دلاديه" (Da-ladier) بدءاً من سنة 1938م لقاءات مع بعض قيادات الحركة الوطنية لمناقشة المطالب المقترحة، ومنها لقاءه بوفد جزائري ترأسه فرحات عباس، وكانت خلاصة اللقاء رد «دلاديه» بأن البرلمان الفرنسي لازال يناصب العداء لمشروع فيوليت، لأنه يرى أن الجنسية الفرنسية لا تتلاءم والشرع الإسلامي، كما طلب أن يلتزم الكل بالحفاظ على الأمن العام، ووضح أن فرنسا لازالت قوية الجانب. انظر:

• Ferhat Abbas : La nuit coloniale, ed. Julliard, Paris, 1962, p 132-133.

• 2 Roger Letourneau : Evolution politique de l'Afrique du nord musulmane, ed. A.Colin, Paris, 1962, p 333.

• 3 انظر لأكثر تفصيل: شارل رويير اجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، دار الأمة، الجزائر، 2008، م02، ط01، ص 724.

• 4 عن التحضيرات الفرنسية والتدابير العامة المتخذة عشية اندلاع الحرب؛ انظر:

• Mostapha Haddad : Le constantinois entre les deux guerres (1919- 1939), impr. Guerfi, 2001, T01, 1er ed, pp 343- 354.

• 5 انظر نص الرسالة في:

• Amar Naroun : Ferhat Abbas

ومهما يكن فإن تسارع الأحداث بالمنطقة وبجهات أخرى رفع من درجة الغليان الشعبي؛ وأدى الاحتكاك بين المتظاهرين المسلمين وقوات الشرطة إلى سقوط أولى الضحايا، ولم يكن ممكناً بعد ذلك التحكم في الوضع من كلا الجانبين، وإذا كان يستحيل تحديد أرقام مضبوطة بشأن عدد الضحايا؛ فإنه من المؤكد العودة في كل مناسبة إلى تقدير حجم المأساة المرتكبة، والتعرف على إفرازاتها العميقة على مستوى الوعي السياسي الجزائري، ومدى جبن السلطة الاستعمارية في مواجهة المحتفلين بانتصار الديمقراطية.

● خاتمة:

يمكن القول إذاً أن ائتلاف حركة أحباب البيان والحرية قد تأسس في ظروف خاصة ميزتها أحداث وتطورات الحرب العالمية الثانية التي لم تكن الجزائر بمنأى عنها، وهدفت هذه الحركة الوطنية الجامعة أساساً إلى المطالبة بتطبيق أرضية بيان فيفري 1943م، وإلى استغلال التحولات العالمية في كسب الحلفاء والأنصار إلى جانب الجزائر، ومن ثمة محاولة التأثير على السلطات الاستعمارية الفرنسية بتدخل أطراف أجنبية من جهة، وكذا إنعاش الوعي الجمعي للجزائريين، وتأطيرهم في صفوف الحركة تحسباً لأي عمل وطني مرتقب.

وقد انتهى عمر الائتلاف عملياً مع سقوط أولى شهداء القمع الدموي في ماي الأسود 1945م، وعليه تمكنت السلطة الفرنسية في الجزائر من استعادة السيطرة على الوضع بعدما خلفت عشرات الآلاف من الشهداء، ومثلهم من الموقوفين والمعطوبين والمنفيين، وبالنسبة لأقطاب العمل السياسي فبدورهم لم يسلموا من الاعتقال والنفي، وكان مصير الحركة هو الحل نهائياً، وبالتالي العودة إلى السياسة الرجعية التي سادت قبل الحرب.

والمفاهيم الأمريكية، حيث كان بصدد البحث عن إطار يحتوي برنامجه، وينطلق من مبادئ الديمقراطية، والمساواة السياسية، وتقرير المصير.

• 13 Benyoucef Ben Khedda : Les origines du 1er novembre 1954, ed. CNERMNR Novembre 1954, Alger, 2004, 2ed, p 80- 81.

• 14 Abbas : La nuit coloniale, op.cit, p 204.

• 15 بعد توقيع اتفاق الدار البيضاء بالمغرب الأقصى في الفترة ما بين 17 و 23 جانفي 1943م؛ تم الاعتراف للحلفاء بإدارة الجزائر إلى حين تكوين إدارة فرنسية، لكن ديغول فهم اللعبة، وسارع في جوان 1943م بإنشاء اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني كمشروع حكومة مؤقتة في انتظار انتهاء الحرب. انظر: جمال فرحات: السياسة الأمريكية في الجزائر: نشأتها وتطورها وآثارها، دار الريحانة، الجزائر، د.ت، ص 49.

• 16 وصف الجنرال جيرو الجنرال ديغول بأنه «أصبح الزعيم الوحيد والمقرر لمصير فرنسا مدنيا وعسكريا». انظر:

• Henri H.Giraud : Un seul but : La victoire, ed.Julliard, Paris, 1949, p 287..

• 17 Abbas : La nuit coloniale, op.cit, p 140.

• 18 انظر مقدمة البيان في:

• Ferhat Abbas : L'Algérie devant le conflit mondial : Le manifeste du peuple algérien, impr. Officielle, Alger, 1946, pp 03- 17.

• 19 شارل رويير اجيرون، المرجع السابق، ص

ou les chemins de la souveraineté, ed. Denoël, Paris, 1961, pp 78- 80.

• 6 انظر التقرير مفصلاً في: Ferhat Abbas : Le jeune algérien, ed. Garnier, Paris, 1981, 2ed, pp 173- 208.

• 7 ويمكن القول أن فرحات عباس اتصل بأكثر الشخصيات الفرنسية نفوذاً وسلطة؛ باستثناء الجنرال ديغول قائد "فرنسا الحرة" بلندن، لأنه حسب وجهة نظر عباس "لم يخدم فرنسا بشمال إفريقيا، وانه رأى المشكل الجزائري من خلال مرافقيه من المتطرفين فقط". نقلا عن: Amar Naroun, op.cit, p 83- 84.

• 8 انظر رسالتي الاستقالة في:

• Documents inédits du mouvement national : Textes fondamentaux, Direction des archives de la wilaya de Constantine, № 12, 1983, pp 40- 42.

• 9 سرعان ما خابت تقديرات المعمرين بدخول الحلفاء في نهاية 1942م، وإفلات الوضع من سيطرتهم.

• 10 من الموقعين نذكر: الدكتور تامزالي، الدكتور ابن جلول، الدكتور سعدان، محمد الهادي جمام، احمد غرسي، قاضي عبد القادر، محمد الامين دباغين، حسين عسلة، الشيخ التبسي، الشيخ خير الدين، توفيق المدني، وآخرين. انظر: Abbas : La nuit coloniale, op.cit, p140.

• 11 انظر نص الرسالة كاملاً في: Emile Paul Sarrasin : La crise algérienne, ed.Cerf, Paris, 1949, p 174.

• 12 ويمكن أن يكون تحول فرحات عباس لاحقاً للمطالب الفيدرالية تحت تأثير المبادئ السياسية

922. • 30 نشير في هذا الصدد إلى خصوصية مناطق بعينها سيشملها القمع الاستعماري، وذلك وفق إستراتيجية استعمارية مدروسة هدفها تفرقة الوحدة السياسية، وتشتيت الجهود الشعبية، وكذا استعراض قوة فرنسا من جديد قصد استعادة ثقة المعمرين في تلك المناطق وفي الجزائر ككل.
- 31 حسب: اجيرون، المرجع السابق، ص 926.
- 32 نقلاً عن: اجيرون، نفس المرجع، ص 928.
- 33 نقلاً عن: محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، دار الأمة، الجزائر، 2008، ج2، ص 1002.
- 34 قداش، نفس المرجع، ص 1003.
- 35 حسب شهادة مصالي التي أوردها محمد حربي، ونقلناها عن: اجيرون، المرجع السابق، ص 951.
- 36 نفسه، ص 929.
- 20 تبدو الأمرية التي أصدرها الجنرال ديغول في 07 مارس 1944م هامة باعتبار مضامينها التي ألغت مثلاً نهائياً صفة الأهلية، ومكنت المسلمين تدريجياً من الوصول إلى المواطنة الكاملة..؛ غير أنها جاءت متأخرة بالنظر إلى نضج المطالب الوطنية و"جرأتها" في هذه المرحلة.
- 21 انظر: اجيرون، المرجع السابق، ص 914.
- 22 Les AML : Textes fondamentaux, op.cit, pp 28- 30. Voir aussi :
- Abbas : La nuit coloniale, op.cit, p 150.
- 23 نقلاً عن: اجيرون، المرجع السابق، ص 922-923.
- 24 انظر البيان التأسيسي في: Liberté, 14/09/1944.
- 25 أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، دار البصائر، الجزائر، 2009، ج3، ط خاصة، ص 228 - 229.
- Abbas : La nuit coloniale, 26 op.cit, p 152.
- Letourneau, op.cit, p 348 27.
- 28 سعد الله، المرجع السابق، ص 237.
- 29 للتفصيل انظر خاصة:
- Jean Orbey : L'évolution de Ferhat Abbas et son rôle dans la crise algérienne
- actuelle, CHEAM, 1945.

7- Haddad Mostapha: Le constantinois entre les deux guerres

impr. Guerfi, 2001, (1939 1919-),

T01, 1ed

8- Letourneau Roger: Evolution politique de l'Afrique du nord musulmane, ed. A.Colin, Paris, 1962.

9- Naroun Amar: Ferhat Abbas ou les chemins de la souveraineté, ed. Denoël, Paris, 1961.

10- Sarrasin Emile Paul: La crise algérienne, ed. Cerf, Paris, 1949.

11- Orbey Jean: L'évolution de Ferhat Abbas et son rôle dans la crise algérienne actuelle, CHEAM, 1945.

• قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

1 - اجيرون شارل روبير: تاريخ الجزائر المعاصرة، دار الأمة، الجزائر، 2008، م02، ط01.

2 - سعد الله ابو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، دار البصائر، الجزائر، 2009، ج03، ط خاصة.

3 - قداش محفوظ: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، دار الأمة، الجزائر، 2008، ج02.

4 - جمال فرحات: السياسة الأمريكية في الجزائر: نشأتها وتطورها وآثارها، دار الريحانة، الجزائر، د.ت.

1- Documents inédits du mouvement national : Textes fondamentaux, Direction des archives de la wilaya de Constantine, № 12, 1983.

2- Abbas Ferhat: Le jeune algérien, ed. Garnier, Paris, 1981, 2ed.

3- Abbas Ferhat: La nuit coloniale, ed. Julliard, Paris, 1962.

4- Abbas Ferhat: L'Algérie devant le conflit mondial : Le manifeste du peuple algérien, impr. Officielle, Alger, 1946.

5- Ben Khedda Benyoucef: Les origines du 1er novembre 1954, ed. CNERMNR Novembre 1954, Alger, 2004, 2ed.

6- Giraud Henri H.: Un seul but : La victoire, ed. Julliard, Paris, 1949.